

فتح القدير

قوله 103 - { واعتصموا بحبل إِنْ جَمِيعاً } الحبل لفظ مشترك وأصله في اللغة السبب الذي يتوصل به إلى البغية وهو إما تمثيل أو استعارة أمرهم سبحانه بأن يجتمعوا على التمسك بدين الإسلام أو بالقرآن ونهاهم عن التفرق الناشئ عن الاختلاف في الدين ثم أمرهم بأن يذكروا نعمة إِنْ عليهم وبين لهم من هذه النعمة ما يناسب المقام وهو أنهم كانوا أعداء مختلفين بقتل بعضهم بعضاً وينهبون بعضهم بعضاً فأصبحوا بسبب هذه النعمة إخواناً وكأنوا على شفا حفرة من النار بما كانوا عليه من الكفر فأنقذهم إِنْ من هذه الحفرة بالإسلام ومعنى قوله { أصبحتم } صرتم وليس المراد به معناه الأصلي : وهو الدخول في وقت الصباح وشفا كل شيء حرفه وكذلك شفيره وأشفي على الشيء : أشرف عليه وهو تمثيل للحالة التي كانوا عليها في الجاهلية وقوله { كذلك } إشارة إلى مصدر الفعل الذي بعده : أي مثل ذلك البيان البليغ يبين إِنْ لكم وقوله { لعلكم تهتدون } إرشاد لهم إلى الثبات على الهدى والازدياد منه .

وقد أخرج ابن إسحاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن زيد بن أسلم قال : مر شاس بن قيس وكان شيخاً قد عسا في الجاهلية عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين شديد الحسد لهم على نفر من أصحاب رسول الله إِنْ من الأوس والخرج في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه فغاذه ما رأى من أقوالهم وجماعتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية فقال : قد اجتمع ملأ بني قيلة بهذه البلاد وإن ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار فأمر فتى شاباً معه من يهود فقال : اعمد إليهم فاجلس معهم ثم ذكرهم يوم بعاث وما كان قبله وأنشدهم بعض ما كانوا يتقاولون فيه من الأشعار وكان يوم بعاث وما كان قبله وأنشدهم بعض ما كانوا يتقاولون فيه من الأشعار وكان يوم بعاث يوم اقتلت فيه الأوس والخرج وكان الظفر فيه للأوس على الخرج ففعل فتكلم القوم عند ذلك وتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحسين على الركب أوس بن قيطي أحد بني حارثة من الأوس وجبار بن صخر أحد بني سلمة من الخرج فتقاولا ثم قال أحدهما لصاحبه : إن شئتم وإن ردناها الآن جذعة وغض الفريقيان جميعاً وقالوا : قد فعلنا السلاح موعدكم الظاهرة والظاهرة الحرة فخرجوا إليها وانضمت الأوس بعضها إلى بعض والخرج بعضها إلى بعض على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية فيبلغ ذلك رسول الله فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين من أصحابه حتى جاءهم فقال : يا معاشر المسلمين إِنْ أبدعو الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذ هداكم إِنْ إلى الإسلام وأكرمكم به وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم

بـه من الكفر وألف به بينكم ترجعون إلـى ما كنتم عليه كفارا فعرف القوم أنها نزعة من الشيطان وكيد من عدوهم لهم فألقوا السلاح من أيديهم وبـكوا وعـانق الرجال بعضـهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سـا معـين مطـيعـين قد أطفـأ ﷺ عنـهم كـيد عـدو ﷺ شـاس وـأنـزل ﷺ فيـشـأن شـاسـ بنـ قـيسـ وـماـ صـنـعـ {ـ قـلـ يـاـ أـهـلـ الـكـتـابـ لـمـ تـكـفـرـونـ بـآـيـاتـ ﷺ وـأـهـلـ شـهـيدـ عـلـىـ ماـ تـعـمـلـونـ } إـلـىـ قـولـهـ {ـ وـمـاـ إـنـ بـغـافـلـ عـمـاـ تـعـمـلـونـ } وـأـنـزلـ فيـ أـوـسـ بـنـ قـيـظـيـ وجـارـ بـنـ صـخـرـ وـمـنـ كـانـ مـعـهـمـاـ قـوـمـهـاـ الـذـيـنـ صـنـعـواـ {ـ يـاـ أـيـهاـ الـذـيـنـ آـمـنـواـ إـنـ تـطـيـعـواـ فـرـيقـاـ مـنـ الـذـيـنـ أـوـتـواـ الـكـتـابـ } إـلـىـ قـولـهـ {ـ وـأـوـلـئـكـ لـهـمـ عـذـابـ عـظـيمـ } وـقـدـ روـيـتـ هـذـهـ القـصـةـ مـخـتـصـرـةـ وـمـطـوـلـةـ منـ طـرـقـ وـأـخـرـجـ اـبـنـ جـرـيرـ وـابـنـ أـبـيـ حـاتـمـ عـنـ السـدـيـ فـيـ قـولـهـ {ـ لـمـ تـصـدـونـ عـنـ سـبـيلـ ﷺ } قـالـ :ـ كـانـواـ إـذـ سـأـلـهـمـ أـحـدـ تـجـدـونـ مـحـمـداـ ؟ـ قـالـواـ :ـ لـاـ قـالـ :ـ فـصـدـواـ النـاسـ عـنـهـ وـبـغـواـ مـحـمـداـ عـوجـاـ هـلـاـكـاـ وـأـخـرـجـ عـبـدـ بـنـ حـمـيدـ وـابـنـ جـرـيرـ عـنـ قـتـادـةـ :ـ لـمـ تـصـدـونـ عـنـ الإـسـلـامـ وـعـنـ نـبـيـ ﷺ مـنـ آـمـنـ بـاـهـ وـأـنـتـمـ شـهـداءـ فـيـمـاـ تـقـرـأـونـ مـنـ كـتـابـ ﷺ أـنـ مـحـمـداـ رـسـوـلـ ﷺ وـأـنـ الإـسـلـامـ دـيـنـ ﷺ الـذـيـ لاـ يـقـبـلـ غـيـرـهـ وـلـاـ يـجـزـيـ إـلـاـ بـهـ يـجـدـونـهـ مـكـتـوبـاـ عـنـهـمـ فـيـ التـوـرـاـةـ وـالـإـنـجـيـلـ وـأـخـرـجـ اـبـنـ جـرـيرـ وـابـنـ المـنـذـرـ وـابـنـ أـبـيـ حـاتـمـ عـنـ اـبـنـ جـرـيرـ فـيـ قـولـهـ {ـ اـتـقـواـ إـنـ حـقـ تـقـاتـهـ } قـالـ :ـ أـنـ يـطـاعـ فـلاـ يـعـصـيـ وـيـذـكـرـ فـلاـ يـنـسـيـ وـيـشـكـرـ فـلاـ يـكـفـرـ وـقـدـ روـاهـ الـحـاـكـمـ وـصـحـحـهـ وـابـنـ مـرـدـوـيـهـ عـنـ وـجـهـ آـخـرـ عـنـهـ مـرـفـوعـاـ بـدـوـنـ قـولـهـ :ـ وـيـشـكـرـ فـلاـ يـكـفـرـ وـأـخـرـجـ اـبـنـ مـرـدـوـيـهـ عـنـ اـبـنـ عـبـاسـ قـالـ :ـ حـقـ تـقـاتـهـ أـنـ يـطـاعـ فـلاـ يـعـصـيـ فـلـنـ تـسـتـطـيـعـواـ فـأـنـزلـ ﷺ بـعـدـ ذـلـكـ {ـ فـاـتـقـواـ إـنـ مـاـ اـسـتـطـعـتـمـ } وـأـخـرـجـ عـبـدـ بـنـ حـمـيدـ عـنـهـ نـحـوهـ وـأـخـرـجـ اـبـنـ أـبـيـ حـاتـمـ عـنـ سـعـيـدـ بـنـ جـبـيرـ نـحـوهـ وـأـخـرـجـ اـبـنـ مـرـدـوـيـهـ عـنـ اـبـنـ مـسـعـودـ نـحـوهـ وـأـخـرـجـ اـبـنـ جـرـيرـ وـابـنـ المـنـذـرـ وـابـنـ أـبـيـ حـاتـمـ عـنـ اـبـنـ عـبـاسـ فـيـ قـولـهـ {ـ حـقـ تـقـاتـهـ } قـالـ :ـ لـمـ تـنـسـخـ وـلـكـنـ حـقـ تـقـاتـهـ أـنـ يـجـاهـدـواـ فـيـ إـنـ حـقـ جـهـادـهـ وـلـاـ يـأـخـذـهـ فـيـ إـنـ لـوـمـةـ لـائـمـ وـيـقـومـواـ ﷺ بـالـفـسـطـ وـلـوـ عـلـىـ أـنـفـسـهـمـ وـآـبـائـهـمـ وـأـبـنـائـهـمـ وـأـخـرـجـ سـعـيـدـ بـنـ مـنـصـورـ وـابـنـ أـبـيـ شـيـبةـ وـابـنـ جـرـيرـ وـابـنـ المـنـذـرـ وـالـطـبـرـانـيـ قـالـ السـيـوطـيـ بـسـنـدـ صـحـيـحـ عـنـ اـبـنـ مـسـعـودـ فـيـ قـولـهـ {ـ وـاعـتـصـمـواـ بـحـبـلـ ﷺ } قـالـ :ـ حـبـلـ ﷺ الـقـرـآنـ وـقـدـ وـرـدـتـ أـحـادـيـثـ أـنـ كـتـابـ ﷺ هوـ حـبـلـ ﷺ الـمـمـدـدـ وـأـخـرـجـ اـبـنـ جـرـيرـ وـابـنـ أـبـيـ حـاتـمـ عـنـ أـبـيـ العـالـيـةـ قـالـ :ـ وـاعـتـصـمـواـ بـحـبـلـ ﷺ بـالـإـلـحـامـ ﷺ وـحـدـهـ وـأـخـرـجـ اـبـنـ أـبـيـ حـاتـمـ عـنـ الـحـسـنـ قـالـ :ـ بـطـاعـتـهـ وـأـخـرـجـ أـيـضاـ عـنـ قـتـادـةـ قـالـ :ـ بـعـهـدـهـ وـأـمـرـهـ وـأـخـرـجـ اـبـنـ جـرـيرـ عـنـ اـبـنـ زـيـدـ قـالـ :ـ بـالـإـسـلـامـ وـأـخـرـجـ اـبـنـ أـبـيـ حـاتـمـ عـنـ اـبـنـ جـرـيرـ فـيـ قـولـهـ {ـ إـذـ كـنـتـمـ أـعـدـاءـ } قـالـ :ـ مـاـ كـانـ بـيـنـ الـأـوـسـ وـالـخـرـجـ فـيـ شـأنـ عـائـشـةـ وـأـخـرـجـ اـبـنـ إـسـحـاقـ قـالـ :ـ كـانـتـ الـحـربـ بـيـنـ الـأـوـسـ وـالـخـرـجـ عـشـرـيـنـ وـمـائـةـ سـنـةـ حـتـىـ قـامـ الـإـسـلـامـ فـأـطـافـاـ إـنـ ذـلـكـ وـأـلـفـ بـيـنـهـمـ وـأـخـرـجـ اـبـنـ جـرـيرـ وـابـنـ أـبـيـ حـاتـمـ عـنـ السـدـيـ فـيـ

قوله { وكنتم على شفا حفرة من النار } يقول : كنتم على طرف النار من مات منكم وقع في النار فبعث الله محمدًا A واستنقذكم به من تلك الحفرة